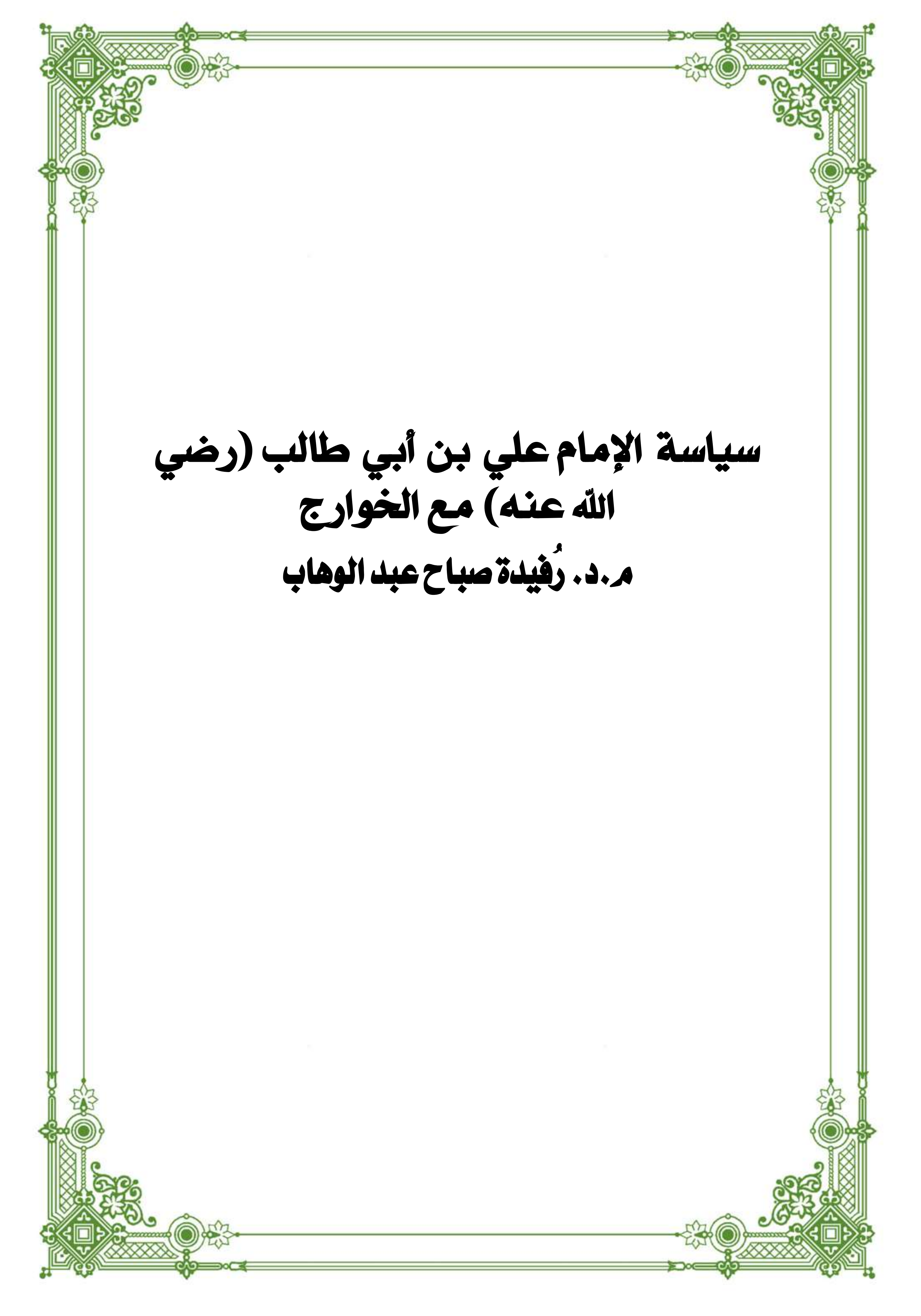
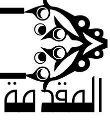


سياسة الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مع الخوارج

م.د. رُفيدة صباح عبد الوهاب



المقدمة

الحمدلله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:إن مفهوم السياسة الشرعية هي تدبير الامور والقيام بإصلاحها لخيري الدنيا والاخرة ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ، ودفع أعظم المفسدتين بإحتمال أدناهما ، عن طريق أصول الشرع الحنيف وقواعده ومقاصده ، وبحق الامة في الرقابة والشورى والعدل والمساواة والحريات ، وبمعالجة الظواهر السلبية ومقالات أهل الأهواء والغلاة والشبهات ، وردها بحسن المناضرة ، والحلم والصبر والترفق، ووضوح الحجة وقوة الدليل ، لأن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة . من هذه المعاني كانت سياسة الإمام علي بن إبي طالب (رضي الله عنه) مع الخوارج ، سياسة رشيدة ، بتحيكم كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، وحقن الدماء ، وإعلاء كلمة الله ، ودفع الضرر بقدر الامكان وتحقيق المصلحة . لذا إخترت بحثي هذا للمساهمة في توضيح هذه المعاني الشرعية ، وفهمها والوقوف عليها ، والتأسي بها ، وكان منهجي في هذا البحث يعتمد على المصادر والمراجع المختلفة التي تبرز المعاني والمفردات في الموضوع ، الذي يقوم على ثلاثة فصول مع مباحث ومطالب . فالفصل الأول يختص بسيرة الإمام علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) ، وسياسته الشرعية مع مفهوم هذه السياسة لغة وإصطلاحا. والفصل الثاني في الخوارج و التعريف بهم لغة وإصطلاحا وصفاتهم والأحاديث في ذمهم . وفي الفصل الثالث ، سياسة الإمام علي (رضي الله عنه) مع الخوارج في محاوراته لهم ، ثم قتالم وأسباب فشلهم.أما الخاتمة ، فقد اشتملت على أهم ما توصلت اليه من نتائج . و قد بذلت ما في وسعي في دراسة مفردات البحث .... أسأله سبحانه.... السداد في القول والعمل ، والفكر والقلم إنه ولي ذلك والقادر عليه

المبحث الأول نبذة عن سيرة الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

المطلب الأول : من ميلاده إلى استشهاده

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف الهاشمي القرشي، أبو الحسن، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين ومن العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) وصهره. أُمّه الصحابية الجليلة فاطمة بنت أسد الهاشمية وكان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أول الناس إسلاماً من الشباب بعد أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (صلى الله عليه وسلم) ولد في مكة قبل البعثة بعشر سنين، وتربى في حجر النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) ولم يفارقه، وكناه النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) بأبي تراب وكان يفرح إذا نودي بها وذلك عندما رآه النبي (صلى الله عليه وسلم) مضطجعاً في المسجد وقد أصابه تراب فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يمسحه عنه ويقول: (قم أبا تراب) وكان اللواء بيده في أكثر المعارك، وكان له مواقف كثيرة وعلاقات وثيقة، ومحبة أكيدة، وألفة عظيمة مع الصحابة وخاصة الخلفاء الراشدين الثلاثة – أبو بكر وعمر وعثمان(رضي الله عنهم) والذين كانوا يستشيرونه في كل الأمور، وهو من خير رجال الحكم والسياسة ولي الخلافة بعد استشهاد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة خمس وثلاثون هجريةوأقام في الكوفة حتى استشهد على في الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة.

المطلب الثاني : أهم الأعمال التي قام بها الامام علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)

من أهم أعمال علي(رضي الله عنه) اهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتضح ذلك بنقاط كثيرة منها :

١– **دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك** : كانت حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وتعريف الناس بمعاني الإيمان, والتقوى, والاعتماد والتوكل على الله والخوف منه وحده سبحانه وتعالى، والتعريف بالله من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى, ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه, ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوه التوحيد ومحاربه الشرك أمور منها :

أ– التأكيد على أن الرجاء من الله وحده والخوف من الذنب لذا قال (رضي الله عنه) : ((لا يرجون عبد إلّا ربه , ولا يخافن إلّا ذنبه)). فهذا من أحسن الكلام وابلغه وأتمه ..

ب_ **حرص علي (رضي الله عنه) على محو أثار الجاهلية** : قال علي(رضي الله عنه) :((كان رسول الله(صلى الله عليه وسلم) في جنازة , فقال : (أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثناً إلا كسره , ولا قبراً إلا سواه , ولا صورة إلّا لطخها, فقال عليُّ(رضي الله عنه) : أنا انطلق يا رسول الله فقال : ألا ((فانطلق)) , فانطلق , ثم رجع فقال: يا رسول الله , لم ادع بها وثناً إلّا كسرته , ولا قبرا إلا سويته , ولا صورة إلا

لطختها , ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((من عاد لصنعه شيء من هذا فقد كفر بما انزل على محمد (صلى الله عليه وسلم))).

ج _ إحراق علي (رضي الله عنه) لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهيه : عن عبد الله بن شريك عن أبيه قال : قيل لعلي : (أن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربّهم , فدعاهم وقال لهم : ويلكم ما تقولون ؟ قالوا : أنت ربنا وخالقنا ورازقنا , فقال ويلكم إنما أنا عبد مثلكم .. إن أطعت الله أثابني إن شاء الله , وإن عصيته خشيت أن يعذبني , اتقوا الله وارجعوا , فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه , فجاء قنبر فقال : والله قد رجعوا يقولون ذلك الكلام , فقال : أدخلهم , فقالوا كذلك . فلما كان اليوم الثالث, قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة , فأبوا إلا ذلك , فخذ لهم أخدوداً بين المسجد والقصر .. فقذف بهم فيها فاحترقوا)( ) .

المطلب الثالث : سياسته وقواعد حكمه

كان نظام حكم الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقوم على القواعد الآتية:

١- كانت المرجعية العليا له (رضي الله عنه) كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) والاقتداء بالشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) في هديهما واستدل بقول الرسول(صلى الله عليه وسلم) ((اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)).

٢- حق الأمة في الرقابة على الحكام.

٣- الشورى.

٤- العدل والمساواة.

٥- الحريات: ويقتضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها.

المبحث الثاني مفهوم السياسة الشرعية

المطلب الأول : تعريف السياسة في اللغة :

كلمة السياسة لغة هي : مصدر ساس . يقال : ساس الرعية إذا أمر ونهى فيها , وتطلق على حسن التدبير وجودة الرأي فإذا كانت قائمه على أساس ما شرعه الله تعالى لعباده فهي السياسة الشرعية. وقيل السياسة في اللغة : ((القيام على الشيء بما يصلحه)).

المطلب الثاني : تعريف السياسة في الاصطلاح:

السياسة اصطلاحا فهي ((تدبير الأمور والقيام بإصلاحها يقال : ساس الأمر سياسية, اي قام به , وفي الحديث : ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء)). أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية)). وقد عرفت بأنها : إصلاح أمر الرعية وتدبير أمورهم, وقيل : هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والأجل، وتدبير أمورهم)). وتعرف السياسة أيضا بأنها : علم حكم الدول والمبادئ التي تشكل الحكومات وتديرها في علاقاتها بالمواطنين، وبالدول الأخرى. أما علم السياسة عند علماء المسلمين فهي: ((علم يعرف منه أحوال السياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها , مثل أحوال السلاطين والملوك والأمراء , وأهل الاحتساب والقضاة والعلماء وزعماء الأموال ووكلاء بيت المال , وما يجري مجرى هؤلاء)). أما تعريف السياسة بالمفهوم المعاصر فهي: ((اسم للأحكام والتصرفات التي تدبر بها شؤون الأمة في حكومتها وتشريعها وقضاتها, وفي جميع سلطاتها التنفيذية والإدارية, وفي علاقاتها الخارجية التي تربطها بغيرها من الأمم)). وبذلك يكون علم السياسة اليوم هو جزء مما كان يطلق عليه عند علمائنا القدامى كما جاء عند الفارابي العلم المدني المشتمل على عدة علوم منها الأخلاق والسياسة . يتبين من ذلك أن السياسة الشرعية: هي التصرف في شؤون الأمة العامة على وجه المصلحة لها وإصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة وقد ذهب الأحناف والمالكية والحنابلة إلى أن السياسة لا تقف عند حدود النصوص الشرعية بل تتوجه إلى روحها بينما ذهب الشافعي إلى أن السياسة يجب أن تكون في حدود الشريعة لا تتعداها, فلا سياسة إلا وفق الشرع ومعلوم أن السياسة يشترط فيها أن لا تخالف ما جاءت بها الشريعة الإسلامية, ولكن لا يشترط توافر النصوص, إذ أن السياسة الشرعية تقوم على جلب المصالح ودفع المفاسد, فمتى تحقق ذلك صارت شرعية, سواء وجد نص أم لم يوجد. قال الإمام ابن تيمية- رحمه الله: (إنّ الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها وإنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما).وما السياسة الشرعية إلا هذه المقاصد قال ابن القيم- رحمه الله :(ومن قال: لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط، وتغليط للصحابة، فان الله سبحانه أرسل رسله، وانزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل.فإذا

ظهرت إمارته وأسفر وجهه بأي طريق كان ، فثم شرع الله ودِّينه .. وفي حاجة الناس إلى السياسة الشرعية، قال الإمام ابن تيمية –رحمه الله– :(كانت حاجة الناس إلى السياسة الدافعة لظلم بعضهم عن بعض،او الجالبة لمنفعة بعضهم بعضاً).

الفصل الثاني الخوارج

المبحث الأول : التعريف بالخوارج وصفاتهم

المطلب الأول: االخوارج لغة وإ صطلاحا :

الخوارج لغةً: جمع الخارجة، أي طائفة خارجة، وهي التي تخرج على البيضة وتشق عصا المسلمين. والخارجي: ((كل ما فاق جنسه ونظائره)). والخوارج: ((قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة، وسموا خوارج لخروجهم على الإمام أو عن الناس أو عن الدين أو عن الحق)) . الخوارج اصطلاحاً : عرف العلماء الخوارج بعدة تعريفات منها: ما بينه أبو الحسن الأشعري: أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) وبيّن أن خروجهم على علي (رضي الله عنه) هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم. قال ابن حزم (رحمه الله): (ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وان خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيا)).وقال ابن حجر العسقلاني (رحمه الله): (أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدِّين وخروجهم على خيار المسلمين).وقال في تعريف آخر: (والخوارج: الذين أنكروا على علي (رضي الله عنه) التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان (رضي الله عنه) وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة).قال الإمام الذهبي (رحمه الله): (كان أبو أيوب السختياني (رحمه الله) يسمي أصحاب الأهواء خوارج، ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف)).يقول الدكتور ناصر العقل : (الخوارج هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة الجور).يتبين من ذلك أن اسم الخوارج يطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان وعلى الأئمة في كل زمان ومكان، أو الذين خرجوا في تفكيرهم عن مبادئ الدِّين الحق وفهم خيار المسلمين.

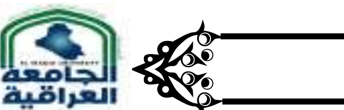
المطلب الثاني : صفات الخوارج

لقد اجتمعت في الخوارج متناقضات كثيرة واستحكمت على عقولهم شبهات ظاهرة البطلان، مع ما عرف عنهم من تشددهم على أنفسهم في العبادة، وشجاعتهم في الذود عن مبادئهم واستماتتهم لأجلها.قال ابن كثير (رحمه الله) عنهم: (هذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنّهم المذكورون في قوله تعالى: ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)). ومما اشتهر عنهم من صفات وأخلاق:

– في الجانب العقدي: عرف عنهم مخالفات عقائدية كثيرة لمذهب السلف منها: أنهم يقولون بخلق القرآن، ويكفرون من زكاهم القرآن والرسول(صلى الله عليه وسلم)من الصحابة فهم يعلنون التبرؤ من علي (رضي الله عنه) وغيره من الصحابة (رضوان الله عنهم) وأنهم يحرفون أسماء الله تعالى وصفاته، وينفون رؤية الله تعالى في الآخرة، وكثير من علمائهم لا يؤمنون بعذاب القبر ولا يثبتون حصول الشفاعة إلا المتقين، أما العصاة فلا شفاعة لهم وبهذا ينفون الشفاعة عن أنفسهم ويشهدون على أنفسهم بالحرمان من شفاعة الشافعين. وأنهم لا يأخذون من السنة إلا ما جاء عن طريق زعمائهم فحسب، ومن ثم لم يقبلوا الكثير من الأحاديث بل ردّوها.

أما صفاتهم الأخرى فهي:

١– **الغلو في الدِّين:** مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة فيهم، ولا أدل على ذلك من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : "ويقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم شيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء،ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء...". لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد، فمن ملامح الخوارج الغالبة تشددهم في العبادة، ومبالغتهم فيها. حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، ومنهم من بالغ في ذلك حتى حكم على كل من ارتكب ذنباً من الذنوب ولو كان صغيراً بأنه كافر مشرك مخلد في النار. وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية أن كفروا كل من لم يرَ برأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق حتى



إنهم استباحوا دماء مخالفيهم، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه كالأزارقة مثلاً، ولا شك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدِّين الإسلامي تشويهاً غريباً، فإن هذا الإغراق في الغلو والتأويل أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم في عقيدتهم قد سلكوا طريقاً ما قال به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولا دعا إليه القرآن الكريم ولكن الصلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر، كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التأويل والتشدد والغلو في الديّن غلواً أخرجهم عن الحد الصحيح. ولذلك حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من الغلو والتشدد في الدِّين؛ لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام، وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران فقد صح عنه(صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "هلك المتنطعون قالها ثلاثاً". فبهذا يتبين شذوذ الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، إن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال (صلى الله عليه وسلم): "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا". وقال الدكتور سفر الحوالي في وصف بعض سلوكهم: (فالجلافة طبعهم، وضيق الأفق سمتهم، ما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أعسرهما، وما رأوا طريقين إلا سلكوا أشقهما، وما صادفوا احتمالين إلا انحازوا لأبعدهما... فهم يقيمون الدنيا ويقعدوها، ويثورون ويحجمون من أجل إثبات قضية؛ قد لا تكون ذات شأن، لكن يرون إن عدم إثباتها كفر وضلال، فإذا ما تحقق لهم ذلك نكصوا ونكسوا على رؤوسهم وقالوا: (قد كنا مخطئين –بل كافرين- حين فعلنا ذلك، فيثورون ويشتطون أشد من الأول من أجل إبطال ما أثبتوه والتراجع عما قرروه، ويرون ضد ذلك كفراً).

٢- **سوء الظن:** هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم ذي الخويصرة الجهول على رسول الهدى(صلى الله عليه وسلم) بعدم الإخلاص، حيث قال: "والله أن هذه لقسمة ما عُدِل فيها، وما أُريد فيها وجه الله"، فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) قد أعطى الأغنياء ولم يعط الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه العلة بستار العدل، وبذلك ضحك منه إبليس، واحتال عليه، فأوقعه في مصائده، فينبغي للمرءِ أن يراقب نفسه، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده وأن يحذر هواه وأن يكون منتبهاً لحيل إبليس، لأنه كثيراً ما يزين العمل السيء بغلاف حسن براق ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق، ومما يعين المرءِ على وقاية نفسه والنجاة بها من حيل الشيطان ومصايده العلم، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من علم، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المنزلِق.

٣- **الشدة على المسلمين:** عرف الخوارج بالغلظة والجفوة، فقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين، وقد بلغت شدتهم حداً فظيعاً، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم فلم يؤذوهم. كانت معاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما معاملة الكافرين فلين وموادعة ولطف، فقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج، قال تعالى: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)). وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ)). فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروعوهم، وبذلك اشتهروا بتعطشهم لقتال المسلمين. فقد كانت الخوارج – كما يقول ابن عبد ربه- تقاتل على السوط يؤخذ منها، وعلى العلق الخسيس اشد قتال، وسقط في بعض أيامهم رمح لرجل من مراد من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل، وذلك مع المغرب. واتصف الخوارج أيضاً بتميزهم بالفصاحة والبلاغة وحرصهم على طلب العلم، وشغفهم بالجدل والمناظرة واتصافهم بالشجاعة والغواء والكرم واتصافهم بالوفاء وغلبة الفوضى والاضطراب على سلوكهم.

المبحث الثاني الأحاديث في ذمهم

وردت أحاديث كثيرة عن النبي(صلى الله عليه وسلم) في ذم الخوارج المارقة، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: ((بينما نحن عند رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وهو يقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، فقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر(رضي الله عنه) : يا رسول إئذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه، فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، وقد سبق الفرث والدم، وآيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد (رضي الله عنه) فاشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) ، وأشهد أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظر إليه على نعت النبي(صلى الله عليه وسلم) الذي نعته)). ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن الكريم يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم. فقد روى البخاري- رحمه الله – من حديث عليّ(رضي الله عنه) أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حديثاً فوالله لأن أخر من السماء أحب لي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (سيخرج قوم في آخر الزمان، حداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية، إينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة). وهذه الأحاديث التي وردت في ذم الخوارج تبين أنهم يظهرون في الغالب في وقت الفتن ويتكرر ظهورهم إلى يوم القيامة ولا يُمكّنون.عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وسلم)يقول: (سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج منهم قرن قطع، كلما خرج منهم قرن قطع –حتى عدّها زيادة على عشر مرات- كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم).

الفصل الثالث سياسة الإمام علي (رضي الله عنه) مع الخوارج

المبحث الأول: محاورة الخوارج

المطلب الأول: محاورة عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) للخوارج

لما كانت وقعة صفين بين علي ومعاوية بن أبي سفيان (رضوان الله عنهم) وطلب معاوية تحكيم كتاب الله، وحقن الدماء، وإعلاء كلمة الله، قبل عليّ (رضي الله عنه) وجنده هذا التحكيم، لما فيه خير الدنيا والآخرة.قال ابن الجوزي: (... وذلك أنه لما طالت الحرب بين معاوية وعلي (رضوان الله عنهم) ، رفع أصحاب معاوية المصاحف، ودعوا أصحاب عليّ إلى ما فيها، فقال الناس: (قد رضينا). وأخر القضاء إلى رمضان، فقال عروة بن أذينة تحكمون في أمر الله الرجال، لا حكم إلا لله، ورجع عليّ من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً). واضح أن هؤلاء الخوارج قد خرجوا من جند الإمام علي(رضي الله عنه) قبل صدور نتائج التحكيم، ورأوا أن التحكيم خطأ، لأنه يتضمن شك كل المحاربين أيهما المحق، ولا يصح هذا الشك، وبذلك أعلنوا (أن لا حكم إلا لله). وأصبح ذلك شعاراً لهم، وطلبوا من علي(رضي الله عنه) أن يقر على نفسه بالخطأ بل بالكفر، لقبوله التحكيم، ويرجع عما أبرم من اتفاق، فرفض عليّ (رضي الله عنه) ذلك، وقال في قولهم (لا حكم إلا لله): (كلمة حق يراد بها باطل).وقد اقلق هذا التفرق علي (رضي الله عنه) وأصحابه, وسار علي(رضي الله عنه) بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة, واشتغل (رضي الله عنه) بأمر الخوارج خصوصاً بعد ما بلغه تنظيم بجماعتهم من تعيين أمير للصلاة، وآخر للقتال وان البيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, مما يعني انفصالهم فعلياً عن جماعة المسلمين , وكان علي(رضي الله عنه) حريصا على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين وإزالة شبهاتهم وبيان خطأهم كظاهرة سياسية ودينية متميزة أحدثت أثراً فكرياً وعقائدياً واضحاً , فأرسل عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) إليهم لمناظرتهم, وهذا ابن عباس(رضي الله عنه) يروي لنا الحادثة ويقول: فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن, وترجلت, ودخلت عليهم في دار نصف النهار وكان ابن عباس رجلاً جميلاً بهيراً, فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس , ما هذه الحلة؟ قال(رضي الله عنه) (ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحسن ما يكون من الحلل, ونزلت: ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ))( ). قالوا فما جاء بك؟ قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) من المهاجرين والأنصار, من عند ابن عم النبي(صلى الله عليه وسلم) وصهره وعليهم نزل القرآن, فهم اعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد, لأبلغكم ما يقولون, وابلغهم ما تقولون, فانتحى لي نفر منهم, قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وابن عمه, قالوا: ثلاث قلت: ماهن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله, إن الحكم إلا لله, ما شأن الرجال والحكم ؟ قلت : هذه واحدة , فما الثانية ؟ قالوا : وأمّا الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم, فإن كانوا كفارا لقد حلّ سبيهم, ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم, قلت: هذه اثنتان. فما الثالثة ؟ قالوا : محا نفسه من أمير المؤمنين (رضي الله عنه) فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين قلت: هل عندكم شيء غير هذا ؟ قالوا : حسبنا هذا , قلت لهم: أرأيتكم أن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسُنَّة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله , فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم, فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا

فيه أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)). وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين, وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى, بل هذا أفضل؟ قلت: وفي المرأة وزوجها, ((وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا)), فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة، خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب, ولم يغنم, أفتسبون أمّكم عائشة, تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمّكم؟ فان قلتم: إنّا نستحل منها فقد كفرتم، وأن قلتم: ليست بأمّنا فقد كفرتم ((النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)). فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج, أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم, وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين، فانا آتيكم بما ترضون، أن نبيّ الله (صلى الله عليه وسلم) يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي(رضي الله عنه) :(اكتب يا عليّ هذا ما صالح عليه محمد رسول الله)، قال المشركين: لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك, فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :امح يا عليّ, اللهم أنك تعلم أني رسول الله ,امح يا عليّ واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله, والله لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) خير من علي, وقد محا نفسه(صلى الله عليه وسلم) ولم يكن محوه نفسه, ذلك محاه من النبوة أخرجت من هذه ؟ قالوا: نعم, فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم, فقاتلوا على ضلالتهم, قتلهم المهاجرين والأنصار ويمكن أن نستخرج من هذه المناظرة بعض العبر والحكم:-

١- حسن الاختيار لمن يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين علي(رضي الله عنه) ابن عمه عبد الله بن عباس(رضي الله عنه) وهو حبر الأمة, وترجمان القرآن, لأن القوم كانوا يعرفون القرآن الكريم, ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله, ويمكن القول بان ابن عباس(رضي الله عنه) هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة, لما يتحلى به من إخلاص النية لله, واجتناب الهوى, والتحلي بالحلم والصبر والتريث والترفق بالخصم, وحسن الاستماع لكلام الخصوم, وتجنب المماراة, ووضوح الحجة وقوة الدليل.

٢- التقديم للمناظر بما يجزم نتيجتها لصالح الحق، فإن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه), قال في بداية الأمر وقبل المناظرة آتيتكم من أصحاب النبي(عليه الصلاة والسلام) وصهره نزل عليهم القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم, وليس فيكم أحد منهم.

٣- إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة، ليكون أدعى لسماع كل ما عنده, وأن يحمله على احترام رأيه وهذا ما ظهر.

٤- وقد وفق الله عز وجل الآلاف من هؤلاء الخوارج فرجعوا للحق ولجماعة المسلمين إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف فقط، وذلك عندما عرفوا الحق وزالت عنهم الشبهة بفضل الله, ثم بفضل ما أوتيه ابن عباس(رضي الله عنه) من علم وقوة وحجة وبيان, إذ وضح لهم بطلان ما احتجُوا به, بتفسير الآيات التي تناولها التفسير الصحيح, وبالسُنَّة النبوية المشرفة والتي توضح معاني القرآن الكريم.

٥- قول ابن عباس(رضي الله عنه) وليس فيكم منهم أحد: هذا نص صريح من ابن عباس (رضي الله عنه) في كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب الرسول(عليه الصلاة والسلام) ولم يعترض عليه أحد من الخوارج والرواية صحيحة وثابتة, كما أنه لا يوجد أحد من علماء المسلمين فيهم.

٦- تحديد المرجعية: في قول ابن عباس أرأيتكم أن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسُنّة نبيه(عليه الصلاة والسلام) ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم. ففي كلام ابن عباس هذا درس مهم في تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

٧- التأكيد على أن زوجات النبي (عليه الصلاة والسلام) هُنَّ أُمهات المؤمنين بنص الآية، ومنهن عائشة (رضي الله عنها)، ومن يعتقد غير ذلك فقد كفر، قال تعالى: ((النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)).

المطلب الثاني: محاورة الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) للخوارج

الخروج للمناظرة: إن عليا(رضي الله عنه) خرج بنفسه لمناظرة بقية الخوارج فحادثهم قائلاً (أنشدكم الله، هل علمتم أن أحداً كان أكره للحكومة منّي؟ قالوا: اللهم لا. قال, قال أفعلمتم أنكم أكرهتموني عليها حتى قبلتها؟ قالوا: اللهم نعم. قال فعلام خالفتموني ونابذتموني؟ قالوا: إنا أتينا ذنباً عظيماً فتبنا إلى الله منه, فتب أنت إلى الله منه, واستغفره نعد إليك , فقال علي (رضي الله عنه) : استغفر الله من كل ذنب, فرجعوا معه وكان عددهم حوالي ستة آلاف.



مزاعم الخوارج: إن الخوارج فهموا من علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته – حسب زعمهم– وصاروا ينشرون هذا الزعم بين الناس, فجاء الأشعث بن قيس الكندي – من أمراء الخوارج – إلى الإمام علي(رضي الله عنه) وقال له: أن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر, فخطب علي (رضي الله عنه) يوم الجمعة, وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم مباينتهم الناس وأمرهم الذي فارقوه فيه, وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلّا لله, ثم قام آخر فقال: لا حكم إلّا الله, ثم قاموا نواحي المسجد يحكمون الله , فأشار عليهم بيده, اجلسوا, نعم لا حكم إلّا لله , كلمة حق يراد بها باطل, حكم الله انتظر فيكم, وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر, فقام رجل منهم واضعاً إصبعيه في أذنيه ويقول: ((لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)), فرد علي(رضي الله عنه) بقوله تعالى: ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)).

إعلان سياسته الرشيدة: لقد أعلن علي(رضي الله عنه) عن سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة, فقال لهم إن لكم عندنا ثلاثاً:–

١– لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

٢– لا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء, ما كانت أيديكم مع أيدينا.

٣– لا نقاتلكم حتى تقاتلونا.

لقد سلم لهم علي(رضي الله عنه) بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة عليّ(رضي الله عنه) أو يخرجوا على جماعة المسلمين, مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، ولم يخرجهم عن الإسلام, وإنما سلم لهم بحق الاختلاف والاحتفاظ بتصوراتهم الخاصة وبحق الاختلاف دون أن يؤدي إلى فرقة وحمل السلاح. وكان عليّ (رضي الله عنه) حريصاً على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم, مصداقاً لقوله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)). وقوله تعالى: ((فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى)).

إمارة الخوارج: لما أيقن الخوارج ان علياً (رضي الله عنه) لم يقر آراءهم وعقيدتهم وهو يمضي في سياسته الشرعية في قبول التحكيم وحقن الدماء، والوفاء بالعهود لقوله تعالى: ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا)).لذلك قرر الخوارج من جديد الانفصال عن أمير المؤمنين علي(رضي الله عنه) وتعيين أمير عليهم, فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي, فخطبهم خطبة بليغة وزهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة, وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعرضوا الامارة عليه فقبلها, وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا , ولا أدعها فرارا من الموت .

إجتماع الخوارج للقتال: إجتمع الخوارج في بيت زيد بن معن الطائي السنسبي، فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلا عليهم آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)), وقوله تعالى:((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) والآية التي بعدها:((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))، ثم قال: (فاشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا, انهم قد اتبعوا الهوى, ونبذوا حكم الكتاب, وجاروا في القول والأعمال, وأن جهادهم حق على المؤمنين, فبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي, ثم حرض أولئك على الخروج على الناس، وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم, فإن أنتم ظفرتم أطيعوا الله كما أردتم وأثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره, وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته).قول ابن كثير_ رحمه الله _ في الخوارج :قال ابن كثير في الخوارج: (وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى:((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا))

التصرف على الرعية منوط بالمصلحة :من هذا يتبين للمتتبع لأحوال الخوارج ومقاماتهم وحروبهم يتأكد أنهم مخدوعون بآرائهم الغالية وعقائدهم الضالة حتى صار عندهم حقيقة من الحقائق أن من ينكرها يكون غاوٍ في نظرهم، فقد كانوا بالأمس يرون في علي(رضي الله عنه) أنه أفضل المسلمين وأعلمهم وأفقههم في الدِّين، واليوم يباينونه هذه المباينة ويرون أنه ضل في التحكيم، ولم يعد يستحق أن يكون خليفة وان كل من تابعه بعيد عن طريق الرشاد.إلا أن علياً(رضي الله عنه) في كل هذا، يؤكد على أن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة لقوله (صلى الله عليه وسلم):(ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة). وقوله أيضاً: (ما من والٍ

يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة).وتصرفه معهم من باب المسؤولية في صلاح ما قام به وما هو تحت نظره، وهو الحافظ المؤتمن في إقامة العدل فيهم والقيام بمصالحهم في الدِّين والدنيا. عن ابن عمر (رضي الله عنه) عن النبي(صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته...). فهو يسعى إلى نصحهم والاجتهاد في ذلك والرفق بهم، لأنه أعطي السلطة لمصلحة العباد وصيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، والرعية هم من كانوا تحت من ولاه الشرع رعايتهم والولاية عليهم، والصبر عليهم، وهو يؤكد على أن الضرر يزال لأنه ظلم وحرام، وعلى المسلم رفع المنكر وإزالته، ولكنه لا يزال بمثله ولا بإحداث ضرر أكبر منه، وإنما تجوز إزالته بضرر دون الضرر المزال، وقد حاول الإمام علي(رضي الله عنه) مع الخوارج أن يدفع الضرر بقدر الإمكان، وبالضرر الأخف( ) مع مراعاة أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما.

المبحث الثاني قتال الإمام علي (رضي الله عنه) للخوارج وأسباب فشلهم

المطلب الأول: قتال الإمام علي (رضي الله عنه) للخوارج .

الاستمرار في السياسة الراشدة: استمر الإمام علي(رضي الله عنه) في سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة واستنفذ كل الطرق لمحاورتهم فحاورهم بالحسنى أولاً وحرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن ينخدع بآرائهم ومظهرهم, وكف الناس عن قتالهم، ولكنهم عندما خالفوا الشروط التي أخذها أمير المؤمنين عليّ(رضي الله عنه) عليهم بأن لا يسفكوا دماً, ولا يروعوا آمناً, ولا يقطعوا سبيلاً, فصاروا يهددون الناس بالقتل، وقتلوا الكثير من الناس، ومنهم قتلهم لعبد الله بن خباب (رضي الله عنه) ومع هذا لم يبادر علي(رضي الله عنه) إلى قتالهم بل أرسل إليهم أن يُسَلِموا القتلة لإقامة الحد عليهم, فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة.

السير للقتال: سار الإمام علي(رضي الله عنه) بجيشه إليهم في شهر محرم من عام (٣٨هـ). وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان, والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان وكان علي(رضي الله عنه) أثناء مسيرتهم يحرض جيشه على قتال الخوارج، فقال: (يا أيها الناس إني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقول: يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن, ليس قرآتكم إلى قراءتهم شيء, ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء, يقرؤون القرآن ويحسبون انه لهم وهو عليهم, لا يجاوز صلاتهم تراقيهم, يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية وآية ذلك أن فيهم رجلاً له, عضد وليس له ذراع, على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض) وقال(رضي الله عنه) أيضاً (أمرت بقتال المارقين , وهؤلاء المارقون) .

القتال عند النهروان: عسكر جيش علي(رضي الله عنه) في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان, وهو يدعوهم ثلاثة أيام (اخرجوا إلينا القتلة) فأبوا, ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله واجتازوا النهر يقول بعضهم لبعض: تهيأ للقاء الربّ, الرواح الرواح إلى الجنة. وكانت معركة حاسمة وقصيرة أسفرت عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج بل تذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعاً إلا عدداً يسيراً لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة, مع أن الخسائر في جيش علي(رضي الله عنه) لا تتجاوز الشهداء اثني عشر أو ثلاثة عشر.

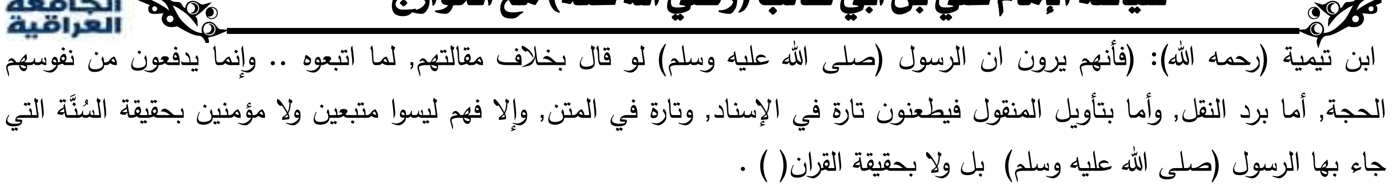
معاملة أسرى الخوارج:لقد عامل الإمام عليّ(رضي الله عنه) الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين، فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده، بأن لا يتبع مدبراً او يدفق على جريح, أو يمثل بقتيل, يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل – أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي (رضي الله عنه) حروبه– (لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهروان). ولم يكفرهم فسئل عنهم, أكفارهم ؟ قال: من الكفر فروا, فقيل: منافقون ؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً, قيل فمن هم ؟ قال: (قوم بغوا علينا فقاتلناهم) وفي رواية (قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا) وهكذا صرح بأنهم مؤمنون ليسوا كفاراً ولا منافقين,ونصح الأمة في التعامل معهم بقوله: (إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم, وإن خالفوا إماماً جائراً، فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً) من هذا يتضح أن سياسة علي (رضي الله عنه) الرشيدة، ومنهجه في الحكم مع الخوارج قبل القتال وبعده، وما يترتب عليها من أحكام شرعية مهمة في معاملة الخوارج.

المطلب الثاني: أسباب فشل الخوارج

فشلت الخوارج في تحقيق الهدف الذي كانت تسعى إليه وسيفشلون في كل زمان ومكان, مصداقاً لقوله (صلى الله عليه وسلم): (كلما خرج منهم قرن قطع). قالها أكثر من عشر مرات .

ويمكن إجمال أسباب فشلهم كالآتي:-

١- عدم إتباعهم المنهج الصحيح للنبي (صلى الله عليه وسلم), بل إنهم يرون أنفسهم فوق ذلك, يقول



ابن تيمية (رحمه الله): (فأنهم يرون ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لو قال بخلاف مقالتهم, لما اتبعوه .. وإنما يدفعون من نفوسهم الحجة, أما بردِ النقل, وأما بتأويل المنقول فيطعنون تارة في الإسناد, وتارة في المتن, وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤمنين بحقيقة السُنَّة التي جاء بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل ولا بحقيقة القران( ) .

٢- قلة عددهم على الرغم من غزارة إعلامهم, وفظاعة فعلهم ومبالغتهم في إظهار صوتهم.

٣- كونهم يكفرون المسلمين وعلماءهم .

٤- كره الناس لأفعالهم مما جعل الناس يسعون إلى التخلص من هذه الشرذمة، لأنها تسلب وتنهب وتحول دون دوام أعمالهم( ) .

٥- نفاذ صبر الناس عليهم، نتيجة للأعمال التخريبية التي يحدثونها من قتل النساء والأطفال وقتل مخالفيهم وإحراق القرى وقطع طرق التجارة.

٦- إعراضهم عن العلم والعلماء وجهلهم الفظيع وحبهم للترؤس والصدارة, وأخذهم العلم حصراً ممن يوافقهم على أفكارهم وإن كان من الجهال وسفيهي العقول, وما عداه شك لا يرقى إلى اليقين, وزيغ لا يبلغ الإيمان, فعلم غيرهم لا يعد علماً صحيحاً, مما جعلهم أشتاتاً وفرقاً تحارب علماء المسلمين وعامتهم , بل ويحاربون بعضهم بعضاً( ).

نتائج البحث: من خلال هذا البحث توصلت الى جملة من النتائج أهمها :

١- إهتمام الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بدعوته للتوحيد ومحاربته للشرك ومحو آثاره.

٢- إن قواعد الحكم في سياسة الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) تقوم كتاب الله وسنة رسوله(صلى الله عليه وسلم)، والإقتداء بالشيخيين أبوبكروعمر(رضي الله عنهما)، وحق الأمة في الرقابة والشورى والعدل والمساواة والحريات.

٣- إن السياسة الشرعية هي التصرف في شؤون الأمة العامة على وجه المصلحة لها وإصلاح أمرهم لخيري الدنيا والآخرة .

٤- إن السياسة الشرعية تقوم على جلب المصالح ، ودفع المفاسد، فمتى تحقق ذلك صارت شرعية، سواء وجد نص أم لم يوجد، لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، و تعطيل المفاسد وتقليلها .

٥- الخوارج في اللغة: جمع الخارجة، أي طائفة خارجة على الإمام ، أو عن الناس ،أو عن الحق بمقالة أو تأويل. وفي الاصطلاح يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا عن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

٦-إن من وافق الخوارج في آرائهم وعقائدهم في تكفير أصحاب الكبائر والمعاصي ، والخروج على أئمة الجور فهو خارجي، وهو مذهب ابن حزم ومن وافقه.

٧-لقد اجتمعت في الخوارج مناقضات كثيرة، واستحكمت على عقولهم شبهات ظاهرة البطلان، مع ما عرف عنهم من تشددهم على أنفسهم في العبادة، وشجاعتهم في الذود عن مبادئهم واستماتتهم لأجلها.

٨- إن الأحاديث الي ورد في ذم الخوارج تبين أنهم يظهرون في الغالب في وقت الفتن ويتكرر ظهورهم إلى يوم القيامة ولا يمكنون.

٩-كانت سياسة الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) هي تحكيم كتاب الله، وحقن الدماء، وإعلاء كلمة الله في كل حروبه، لما فيه خير الدنيا والاخرة.

١٠-حسن الاختيار لمن يقوم بالمناظرة مع الخصم، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، والتحلي بالحلم والصبر والتريث، والترفق بالخصم ، وحسن الاستماع ، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

١١-خروج إمام المسلمين بنفسه لمناظرة الخوارج وإعلان سياسه الراشدة العادلة.

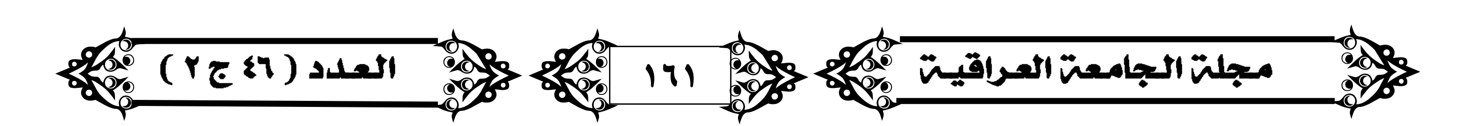
١٢-التسليم بحق الاختلاف وبالتصورات الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية دون أن يؤدي إلى فرقة وحمل السلاح.

١٣-الحرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق في سياسة الإمام لأن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة، وهو المسؤول والحافظ المؤتمن في إقامة العدل ، والقيام بالمصالح الدينية والدنيوية.

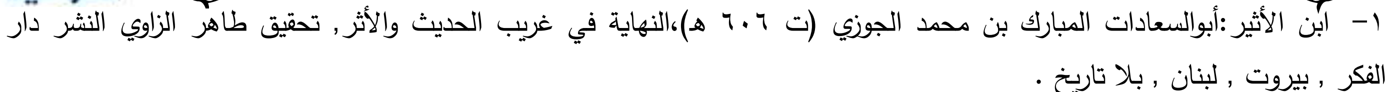
١٤- معاملة الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين ، فهم بغاة وليسوا كفارا ، ولا منافقين

مصادر ومراجع البحث

- القران الكريم







١- ابن الأثير:أبوالسعادات المبارك بن محمد الجوزي (ت ٦٠٦ هـ)،النهاية في غريب الحديث والأثر, تحقيق طاهر الزاوي النشر دار الفكر , بيروت , لبنان , بلا تاريخ .

٢-احمد معيطة، الإسلام الخوارجي , ط٢ , دار التكوين , دمشق ٢٠٠٦ م.

٣-الأذرعي: محمد بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية, خرج أحاديث محمد ناصر الدين الالباني المكتب الإسلامي , بيروت ١٣٩١هـ.

٤-الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل, (ت٢٦٠هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية , صيدا, بيروت , لبنان ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

٥-البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الصحيح الجامع المسند من أقوال وأفعال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)دار إحياء الكتب العربية , مصر, بلا تاريخ.

٦-البغدادي عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩هـ ، الفرق بين الفرق, تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الآفاق الجديدة, بيروت, لبنان , ١٩٨٢م

٧-الترمذي : أبو عبد الله : محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) ، السنن , دار إحياء التراث العربي , بيروت , بلا تاريخ.

٨-ابن تيمية : احمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ) ، الإيمان الأوسط , تحقيق: أبو يحيى محمود أبو سن, ط١, دار طيبة , الرياض , السعودية ١٤٢٢هـ .

٩-ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، تلبيس إبليس , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ط٢ , ١٩٨٧م.

١٠-ابن حزم , أبو محمد علي بن احمد الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل, دار المعرفة, بيروت , لبنان, ١٩٨٣م

١١-حسن البنا، رسائل الإمام الشهيد حسن البنا, المكتبة التوفيقية,القاهرة, مصر، د.ت

١٢-الحفني : عبد المنعم ، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية , دار الرشاد ,ط١ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١٣-الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد , دار الكتب العلمية , بيروت، لبنان , د.ت.

١٤-ابن خلدون عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ) ، المقدمة، ط١, دار الكتب العلمية , بيروت ١٩٩٢م.

١٥-الرازي : أبو بكر (ت ٦٦٦هـ) ، تحفة الملوك , دار البشائر الإسلامية , بيروت ١٤١٧هـ.

١٦-ابن أبي الربيع : شهاب الدين احمد، سلوك المالك في تدبير الممالك , تحقيق : د. حامد عبد الله ربيع , دار الشعب ١٩٨٣م.

١٧-الزبيدي : محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس , دار مكتبة الحياة , بيروت لبنان , بلا تاريخ .

١٨- الزحيلي: وهبة، فتاوى معاصرة , ط٥، دار الفكر , دمشق, ٢٠١٠م.

١٩-الزركلي : محمد خير (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ، الأعلام , ط١٠ , دار العلم للملايين , بيروت ١٩٩٢م .

٢٠- سيد سعيد عبد الغني ، الولاء المشؤوم لليهود والنصارى , ط٥ مؤسسة الجريسي , الرياض , السعودية ١٤٢٢هـ .

٢١- سيد قطب ، في ضلال القران ط١٤, دار الشروق ١٩٩٣م.

٢٢- أبو الشباب : أحمد عوض ، الخوارج , تاريخهم , فرقهم , عقائدهم , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان ٢٠٠٥م.

٢٣-الشهرستاني : محمد عبد الكريم (ت ٥٤٨) ، الملل والنحل, دار الفكر, بيروت , لبنان , بلا تاريخ.

٢٤-ابن أبي شيبة : عبد الله بن أبي بكر (ت, ٢٣٥هـ) ، مصنف ابن أبي شيبة , ط١, مكتبة الرشد , الرياض ١٤٠٩هـ .

٢٥- الصلابي : علي ، سيرة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) , ط٢, دار المعرفة , بيروت, لبنان ٢٠٠٦ م.

٢٦-الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك , تحقيق محمد أبو الفضل , دار المعارف , القاهرة ١٩٧١م.

٢٧-عبد الرزاق : بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) ، المصنف , تحقيق حبيب الاعظمي , ط١ , دار القلم , بيروت ١٣٩٠هـ.

٢٨-عبد الكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة، ط١, مؤسسة الرسالة , بيروت , ٢٠٠١م.

٢٩-العسقلاني : أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ،

١- فتح الباري شرح صحيح البخاري , المكتبة السلفية , القاهرة , بلا تاريخ.

٢- هدي الساري مقدمة فتح الباري , المكتبة السلفية , القاهرة , بلا تاريخ .

٣٠-العفاني : صالح بن سالم ، الخوارج بين الأمس واليوم , ط١, دار النجاة , الرياض , السعودية ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

